خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢١م

في مسجد مبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

الحديث عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه مستمر. أول ما قام به رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى المدينة كان بناء المسجد. وبهذا الشأن كتب مرزا بشير أحمد رضي الله عنه في سيرة خاتم النبيين ﷺ فقال: أول أمر قام به النبي ﷺ بالمدينة كان تعمير المسجد النبوي، والمكان الذي بَرَكَتْ فيه ناقته ﷺ كان ملكا لطفلين يتيمين من المسلمين، هما سهل وسهيل اللذان كانا في كفالة أسعد بن زرارة رضي الله عنه، هذا المكان كان غير معمور ومهجورا تماما، وكان في أحد جوانبه بعض أشجار النخل وفي ناحية أخرى بعض الأنقاض أيْ البيوت المنهدمة. اختارها النبي ﷺ لبناء المسجد وحُجراته، وتم شراء هذه الأرض مقابل ١٠ دنانير، وبدأت أعمال بناء المسجد النبوي بعد تسوية الأرض وقطع الأشجار. وفي رواية أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه دفع ثمن هذه الأرض. ووضع النبي ﷺ حجر الأساس بالدعاء وعمِل الصحابة بُناةً وعُمّالا كما فعلوا في بناء مسجد قباء من قبل. أحيانا كان النبي ﷺ أيضا يشاركهم بنفسه بين حين وآخر.

كما ذُكر آنفا أن المكان أرض المسجد المذكور والحجرات اشتراها النبي ﷺ مقابل عشرة دنانير. وقد جاء في الروايات أن هذا المبلغ دُفع من مال سيدنا أبي بكر رضي الله عنه. وجاء في بيان بناء المسجد ما يلي:

وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ أولَ لَبِنَةٍ في أساسه ثم أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يضع حجرا بجانب حجر وضعه ﷺ، ثم دعا عمرَ رضي الله عنه أن يضع حجرا بجانب حجر وضعه أبو بكر رضي الله عنه. ثم دعا عثمان رضي الله عنه ليضع حجرا بجانب حجر وضعه عمر رضي الله عنه. في العام السابع من الهجرة عاد النبي ﷺ فاتحا منتصرا من خيبر، وعاد لتوسيع مسجد النبي وعمارته من جديد. واشترك ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم في بنائه.

يقول عبيد الله بن عبد الله إنه عندما أعطى النبي ﷺ أرضا لبناء البيوت في المدينة، حدد لأبي بكر رضي الله عنه أرضا لبيته قرب المسجد.

لما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد.

لقد ورد في الروايات عن مؤاخاة سيدنا أبي بكر ﷺ، وجاء فيها أنه ﷺ آخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد رضي الله عنهما. وفي رواية أنه ﷺ آخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. والمواخاة المذكورة مع عمر ﷺ عُقدت في مكة كما قال العلامة ابن عساكر: آخى رسول الله ﷺ بمكة بين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة نقض تلك المؤاخاة إلا اثنتين، المؤاخاة التي بينه وبين علي بن أبي طالب والتي بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة.

متى تمت هذه المؤاخاة، فقد ورد في التاريخ أن المؤاخاة تمت مرتين، حيث ورد أن العلامة القسطلاني شارح صحيح البخاري قال: عُقدت المؤاخاة مرتين، فأولاً آخى النبي ﷺ بين المهاجرين في مكة حيث آخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود وبينه ﷺ وبين علي. ثم لما هاجر ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار في بيت أنس بن مالك ﷺ.

ويقول ابن سعد أنه ﷺ آخى بين مئة من الصحابة، أي بين خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار.

غزوة بدر وأبو بكر ﷺ. فقد قيل بهذا الشأن أن غزوة بدر نشبت في شهر رمضان من العام الثاني من الهجرة، ما يطابق ٦٢٣ الميلادي.

قبل الذهاب لغزوة بدر كان للمسلمين سبعون جملا أي كان جمل واحد لثلاثة وهم كانوا يتناوبون للركوب عليه. فتناوب أبو بكر وعمر وعبد الرحمن ركوب جمل واحد.

وقد ذُكر عن خروج النبي ﷺ لغزوة بدر أنه ﷺ خرج لمواجهة قافلة أبي سفيان القادمة من المدينة إلى الشام. فلما نزلوا بواد يقال له "ذفران" وهو واد قريب من الصفراء قرب المدينة أتاه الخبر عن قريش، بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النبي ﷺ أصحابه وأخبرهم بهذا الخبر: أي قال لهم إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول أي مسرعين، فما تقولون؟ العير أحب إليكم من النفير؟ فقالوا: بلى، أي قالت ذلك طائفة منهم العير أحبّ إلينا من لقاء العدو. وفي رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، إنا خرجنا للعير. وفي رواية: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فعند ذلك تغير وجه رسول الله ﷺ. وقد روي ذلك عن أبي أيوب ﷺ في سبب نزول قوله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (الأَنْفال ٦)، وعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل: أي لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة ٢٥)، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف، فوالله الذي بعثك بالحق نبيا لو سرت

بنا إلى برك الغماد، وهي مدينة على بُعد مسافة خمس ليال من مكة، لجالدنا: أي ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه... قال ابن مسعود: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق وسر بذلك.

ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ ذَفِرَانَ ونَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ. ثم ركب رسول الله ﷺ وأحد من أصحابه، وكان أبو بكر ﷺ بحسب قول ابن هشام، وبحسب رواية أخرى أنه لم يكن أبو بكر بل كان قتادة بن نعمان ومعاذ بن جبل ﷺ، حَتّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ.

عندما اجتمع المسلمون في ميدان بدر جُعل للنبي ﷺ عريشٌ. وقد جاء عن هذا الاستعداد: لقد أُعدّ عريش باقتراح من سعد بن معاذ رئيس الأوس في جانب من الميدان، وربط سعد راحلة النبي ﷺ بالعريش وقال يا رسول الله تفضل أنت في العريش، ونلقى عدونا باسم الله تعالى. وقام سعد وبعض الأنصار الآخرين بحراسة العريش، وبات فيه النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ. وفي رواية أن أبا بكر ﷺ قام يحرس النبي ﷺ طول الليل شاهرا سيفه، وظل النبي ﷺ يدعو الله تعالى ببكاء وابتهال. وورد أن النبي ﷺ كان الوحيد الذي لم ينم طول الليل من بين القوم، أما الآخرون فناموا على التناوب.

عن علي أنه قال: أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا أنت. قال: أبو بكر؛ إنه لما كان يوم بدر فجعلتم لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه.

لقد قال حضرة المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: قال علي ﷺ كان أبو بكر ﷺ أشجع الصحابة. عندما أُعدّ عريش للنبي ﷺ يوم بدر تساءل القوم: مَن الذي يقوم بحراسة النبي ﷺ في هذا الوقت الحرج، فقام أبو بكر ﷺ من فوره ممتشقا حسامه وأدى واجب حماية النبي ﷺ بمنتهى الشجاعة في ذلك الظرف الحرج جدا.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يوم بدر: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بيده فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ. وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

وعن عبد الله ابن عباس قال قال لي سيدنا عمر رضي الله عنهما: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يوم بدر وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ. فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ

أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ بِالْحَاجِ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأَنْفال ١٠). فأمدّه الله تعالى بملائكته.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد تفصيل معركة بدر كالآتي:

قال النبي ﷺ لصحابته: هناك في عسكر الكفار رجال لم يأتوا لهذه المهمة برغبتهم بل قد أُخرجوا كرها من قبل رؤساء قريش، وهم لا يعادوننا في قلوبهم، كذلك يوجد في عسكرهم رجال قد أحسنوا لنا في محنتنا، فواجبنا أن نرد إحسانهم بإحسان، فإنْ غلب مسلم على أحد منهم فلا يؤذيه. وذكر النبي ﷺ على وجه الخصوص من القسم الأول العباس بن عبد المطلب ومن القسم الثاني أبا البختري، ونهى عن قتلهما. ولكن دارت الأمور دورة لم ينج فيها أبو البختري من القتل، إلا أنه علم قبل قتله أن النبي ﷺ كان قد نهى عن قتله. وبعد أن قال النبي ﷺ ذلك لصحابته توجه إلى خيمته وبدأ يتضرع إلى الله تعالى، وكان معه أبو بكر، وكانت جماعة من الأنصار تحت قيادة سعد بن معاذ تحرس خيمته. ثم بعد قليل سُمعت صيحات من ساحة القتال تبين منها أن جيش قريش قد بدأ الهجوم العام. وكان النبي ﷺ حينها يدعو الله ويتوسل إليه في منتهى الضراعة والرقة مادًّا يديه أمام الله تعالى: "اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". وقد بلغ من كربه ﷺ أنه كان يدعو الله تعالى واقفًا مرة وساجدًا أخرى، وكان رداؤه يسقط عن منكبه مرة بعد أخرى، وكان أبو بكر يأخذه ويلقيه عليه ثانية.

وقال علي ﷺ: كنت أثناء القتال أفكر مرة بعد أخرى في النبي ﷺ، فكنت أجري ناحية قبة النبي ﷺ، وكلما ذهبت وجدته ساجدا باكيا، وسمعت هذه الكلمات جارية على لسانه: يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم. (أي يا ربي الحي يا واهب الحياة) وكان أبو بكر يصاب بالقلق الشديد برؤية حال النبي ﷺ ويقول عفويا: فداك أبي وأمي يا رسول الله، لا عليك، إن الله تعالى سينجز لك ما وعدك، ولكن النبي ﷺ ظل منشغلا بالدعاء والابتهال باستمرار عملا بالحكمة القائلة: مَن كان أكثرَ عرفانًا بالله كان أكثرَ خشيةً منه.

وقال حضرة المصلح الموعود ﷺ: إن ما ظهر من النبي ﷺ يوم بدر يكفي لإبهار عيون الذين يملكون عيونا باصرة، إذ تبين منه كم كان قلب ﷺ عامرًا بخشية الله. حين تقدم النبي ﷺ لمواجهة العدو في معركة بدر بأصحابه المخلصين الشجعان، كانت آثار تأييد الله تعالى بادية، حيث خيّم الكفار في أرض صلبة بُغية تثبيت أقدامهم وتركوا للمسلمين أرضا رملية، ولكن الله تعالى أنزل المطر فصارت أرض الكفار وحلة وأرضُ المسلمين صلبة، وإضافة إلى ذلك كانت هناك تأييدات سماوية أخرى بادية للعيان، ومع ذلك كانت خشية الله تعالى مستولية على قلب النبي ﷺ، وظل قلقا بالنظر إلى استغناء الله تعالى، رغم كل الوعود والآيات

الإلهية، فكان يدعوه ﷻ بمنتهى الضراعة والاضطراب بأن يرزق المسلمين الفتح. يقول ابن عباس ﷺ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ اللهمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهمَّ إِنْ شِئْتَ (أي إن شئت إبادة المسلمين) لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِه فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ. وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ من القبة وَهُوَ يَقُولُ: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

سبحان الله، لقد بلغ النبي ﷺ من خشية الله خشية أنه ظل يفكر في استغناء الله رغم وعوده تعالى، ومن ناحية أخرى كان موقنا أيضا بوعود الله تعالى بحيث إن أبا بكر ﷺ عندما قال له ما قال أسمعه بصوت عال بأني لست خائفا بل قد أخبرني الله تعالى بوضوح أن العدو سيُهزَم ويُخزى وسيهلك أئمة الكفر هنا. وهذا ما حصل بالفعل.

لقد قال حضرة المسيح الموعود عليه السلام: قد وُعد النبي ﷺ مرارا في القرآن الكريم بالانتصار على الكفار، ولكن حين بدأت معركة بدر، وكانت أول معركة في الإسلام، أخذ النبي ﷺ في البكاء والدعاء، حتى خرجت من فمه هذه الكلمات: "اللهم إن أهلكتَ هذه العصابة فلن تُعبَد في الأرض أبدا". أي إن أهلكت هذه العصابة المشتملة على ٣١٣ شخصا فقط فلن يعبدك أحد إلى يوم القيامة. وحين سمع أبو بكر ﷺ هذه الكلمات من فمه ﷺ قال: يا رسول الله، لماذا تقلق لهذه الدرجة فقد آتاك الله وعودا قطعية بالانتصار. فقال ﷺ: هذا حق، ولكني ناظر إلى استغناء الله تعالى أيضا، بمعنى أن إنجاز الوعد ليس حقا واجبا على الله تعالى.

عندما حمي الوطيس نزل النبي ﷺ من العريش وبدأ يحرض الناس على القتال. كان الناس يذكرون الله تعالى في صفوف. لقد باشر النبي ﷺ القتال، وكان أبو بكر يقاتل معه جنبا إلى جنب. لقد ظهرت شجاعة أبي بكر منقطعة النظير، فقد كان مستعدا لقتال كل كافر متمرد وإن كان ابنًا له. كان عبد الرحمن الابن البكر لأبي بكر ﷺ جاء في تلك المعركة للقتال من قبل الكفار، وكان يُعَد من كبار شجعان العرب، وكان أجودهم رمايةً. وبعد أن أسلم قال لوالده أبي بكر ﷺ: كنت غرضًا واضحا لسهمي في يوم بدر ولكني تركتك و لم أقتلك، فرد عليه أبو بكر لو كنتَ صرتَ غرضًا لسهمي لم أتركك.

قد ذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ هذا الحادث وقال: ورد أن أبا بكر ﷺ كان يتناول الطعام مع النبي ﷺ ذات مرة وجرى الحديث عن شتى الأمور، وكان هناك ابنه عبد الرحمن الذي كان أكبر أولاده، وأسلم فيما بعد، وكان قد خرج من قبل الكفار لمحاربة المسلمين يوم بدر أو أحد، فقال لأبيه أثناء الحديث على الطعام: يا أبتِ، مررتَ بالمكان الفلاني في تلك المعركة وكنتُ إذاك مختفيًا وراء حجر، ولو شئتُ لهاجمتك وقتلك،

ولكني تركتُك لأنك أبي، فردّ عليه أبو بكر: لقد نجوتَ لأن الله أراد لك الإيمان، والله لو رأيتُك عندها لقتلتُك.

استشارة رسول الله ﷺ عن أسرى بدر وماذا كان رأي سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فيهم، وقبوله ﷺ رأيَ أبي بكر رضي الله عنه. فقد كتب عن ذلك حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه:

بعد الوصول إلى المدينة المنورة، تشاور النبي ﷺ في أمر أسرى الحرب وكيف ينبغي معاملتهم. كان أسرى الحرب، وفقًا للعرف العربي، إما يُقتلون أو يُحكم عليهم بالعبودية الدائمة. أما النبي ﷺ فكان يكره ذلك كثيرا، و لم تكن أحكام الله تعالى قد نزلت بعد في مثل هذه الأمور. فاقترح أبو بكر الإفراج عن الأسرى بعد أخذ الفدية، لأن هؤلاء الأسرى أقارب للمسلمين، وليس من المستبعد أن يخرج منهم من يضحون بأرواحهم من أجل الإسلام؛ أما عمر، فخالف هذا الرأي قائلا ينبغي ألا نقيم وزنًا لمسألة القرابة في أمور الدين. فقد استحقوا القتل بجرائمهم لذلك يجب إعدامهم، بل ينبغي أن يقتل المسلمون بأيديهم أقاربهم من هؤلاء الأسرى. لقد أحبّ النبي ﷺ لرحمته الفطرية اقتراح أبي بكر وقرر عدم قتلهم، وأمر بإطلاق سراح الأسرى بعد دفع الفدية. وقد جاءت الموافقة على رأيه في الوحي الإلهي فيما بعد.

ذات مرة مرض أبو بكر وبعض الآخرين من الصحابة في المدينة، فعن ذلك رواية:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ قَالَتْ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَتْ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِه وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا (وهما مكيالان) وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ. (البخاري) والجحفة موضع على بُعد ٨٢ ميلا من مكة نحو المدينة.

هناك روايات عن غزوة أحد، التي كانت في شوال من العام الثالث بعد الهجرة، الموافق ٦٢٤ الميلادي، بين المسلمين وقريش. ففي أواخر العام الثالث ورد الخبر بأن قريشا يأتون مع حلفائهم لغزو المدينة. فجمع النبي ﷺ المسلمين وأخبرهم عن غزو قريش هذا، واستشارهم هل ينبغي الدفاع بالمكوث في

المدينة أم يجب التصدي لهم بالخروج إلى الساحة. فعن ذلك كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ:

لقد جمع النبي ﷺ المسلمين عند غزوة أحد واستشارهم حول الهجمة المتوقعة من قريش (أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة)؟ وقبل الاستشارة ذكر النبي ﷺ الهجمة المتوقعة من قريش ونواياهم الخبيثة الدموية ثم قال: قد رأيت الليلة في منامي بَقَرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ثَلْمًا، ثم رأيت أن ذلك البقر يُذبح، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وفي رواية: قال رأيت أني مردف كبشا. قال الصحابة: فبمَ أولتها يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: فَأَمَّا الْبَقَرُ فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ، وَأَمَّا الثَّلْمُ الَّذِي رَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي، فهي إشارة إلى رَجُل مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ أو أتعرض أنا لأذى. أما إدخال يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ أي مواجهة المهاجمين بالمكوث في المدينة. ورأيت أني مردف كبشا، فأولته أمير جيش الكفار أي حامل لوائهم وسوف نَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثم استشار النبي ﷺ صحابته فيما ينبغي فعله في هذه الأوضاع؟ فأشار عليه بعض صحابته الكبار نظرًا إلى الأوضاع السائدة أو متأثرين برؤيا النبي ﷺ أنه من الأنسب الدفاع بالمكوث في المدينة، واستحسن النبي ﷺ هذا الرأي وقال الرأي الأفضل هو مواجهة العدو بالمكوث فِي الْمَدِينَةِ.

ولكن أكثر الصحابة ولا سيما الشباب منهم الذين ما شهدوا بدرًا كانوا متلهفين للخروج لينالوا الشهادة أثناء خدمة الدين، فأصروا كثيرا على الخروج من المدينة ومواجهة الكفار في الساحة. ونظرًا إلى إصرارهم وحماسهم قبِل النبي ﷺ رأيهم وقرر مواجهة الكفار في الميدان خارج المدينة.

ثم حرض النبي ﷺ المسلمين بعد صلاة الجمعة على أن يشتركوا في هذه الغزوة جهادًا في سبيل الله وينالوا الثواب. ثم دخل النبي ﷺ بيته فعصب على رأسه العمامة، ولبس لباسًا وتقلد أسلحة بمساعدة أبي بكر وعمر ثم خرج باسم الله، ولكن خلال هذه المدة نصح بعض كبار الصحابة هؤلاء الشباب فشعروا بخطئهم في إصرارهم على رأيهم مقابل رأي النبي ﷺ، وأبدى معظمهم الندم على موقفهم هذا. فلما رأى هؤلاء النبيَّ ﷺ مدرعًا يرتدي الخوذة، ازداد ندمهم واضطربوا وقالوا بإجماع: يا رسول الله لقد أخطأنا حين أصررنا على رأينا مقابل رأيك، فافعل الآن ما بدا لك، لأن البركة ستكون في اتباع رأيك إن شاء الله. فقال النبي ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لَأْمَته أن يرجع حتى يحكم اللّه له)، فانطلِقوا الآن باسم الله ولكم النصر ما صبرتم.

في غزوة أحد أمسك النبي ﷺ سيفه بيده وقال من ذا الذي يؤدي حقه، فالصحابة الذين تمنوا أن يعطى لهم هذا السيف، كان منهم سيدنا أبو بكر ﷺ أيضا. وقد كتب عن ذلك حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه سيرة خاتم النبيين كالتالي:

أخذ النبي ﷺ سيفه بيده وقال من ذا الذي يؤدي حقه؟ فمد كثير من الصحابة أيديهم لينالوا هذا الشرف، منهم سيدنا عمر والزبير وفي بعض الروايات ورد اسم سيدنا أبي بكر وعلي ﷺ أيضا، لكنه ﷺ كف يده، وظل يقول هل ثمة من يؤدي حقه؟ فتقدم أخيرا سيدنا أبو دجانة الأنصاري، ومد يده، وقال أعطني يا رسول الله، فأعطاه النبي ﷺ السيف.

في غزوة أحد حين أعاد الكفار الكرة من جديد، وتعرض المسلمون للهزيمة شاع الخبر أن النبي ﷺ قد استشهد.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أَوّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلُ النّاسِ قُتِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ عَرَفْت عَيْنَيْهِ تَزْهَرَانِ مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ فَنَادَيْت بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرُوا، هَذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَأَشَارَ إلَيّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ أَنْصِتْ: فَلَمّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ نَهَضُوا بِهِ وَنَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوُ الشّعْبِ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ، وَالزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ، رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَالْحَارِثُ بْنُ الصّمّةِ وَرَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

بايع رسول الله ﷺ عصابة من أصحابه على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون فصبروا وجعلوا يبذلون نفوسهم دونه حتى استشهد بعض منهم. فكان من أولئك المبايعين السعداء أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد وسهل بن حنيف وأبو دجانة.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ المزيد من البيان لأوضاع غزوة أحد: الصحابة الذين التفُّوا حول النبي ﷺ قد سجلوا أروع نماذج الصدق والإخلاص، التي يعجز التاريخ عن الإتيان بمثيلها، فكانوا يجتمعون حوله كالفراش حول الشمع، ويُضحُّون بحياتهم من أجله ﷺ، وكانوا يتلقون كل هجمة عليهم، ويحفظون النبي ﷺ وفي الوقت نفسه يهاجمون العدو أيضا. فقد شن سيدنا علي والزبير هجمات كثيرة على العدو ودفعاه وذبَّاه، أما أبو طلحة الأنصاري فقد كسر ثلاثة أقواس خلال رميه، وتصدى لسهام العدو وستر النبيَّ ﷺ بجُنته، وكان النبي ﷺ يُناول سعدَ بن أبي وقاص السهام وهو كان يرمي بها العدو بكثرة. فقال له النبي ﷺ مرة، ارمِ فداك أبي وأمي. فكان سعد يذكر هذه الكلمات بكل فخر طوال حياته، وأبو دجانة وارى بجسمه جسمَ النبي ﷺ طويلا، وتلقى كل حجر وسهم على جسمه، فجرح كثيرا لكنه لم يتأوه، حتى لا ينحسر جسم النبي ﷺ بتحركه فيصيبه سهم.

لقد تحمّل طلحة كثيراً من الهجمات على نفسه محاولا إنقاذ النبي ﷺ من تعرضه لها، وخلال ذلك أصيبت يده إصابات شُلت بها للأبد، ولكن كيف لهؤلاء القلة القليلة من الفدائيين أن يصمدوا أمام

السيل العظيم الذي كان يقترب رويداً رويداً من كل جانب كالأمواج المخيفة. إن كل تيار من هجمات العدو يعصف بالمسلمين ويدفعهم إلى هنا وهناك. ولكن عندما كانت تخف وطأة هذه الهجمات يبدأ المسلمون المحاربون بالاجتماع حول محبوبهم المفدى، وأحيانًا كانت تعصفهم الهجمة الشديدة بعيداً حتى يبقى النبي ﷺ وحيداً. ففي إحدى المرات لم يبق معه ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، ومرةً لم يبق معه سوى رجلين فحسب. وكان من أبرز هؤلاء الفدائيين أبو بكر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبو دجانة الأنصاري وسعد بن معاذ وأبو طلحة الأنصاري.

لقد صوّر أبو بكر الوضع لما كسرت رباعية النبي ﷺ في غزوة أحد، تقول عنه عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث فقال: كنت ممن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه – قال: وأراه قال: يحميه – قال: قلت: كن طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلا من قومي أحب إلي، وبيني وبين رسول الله ﷺ رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف خطفا لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقد كسرت رباعيته، *(أي الأسنان الأمامية)* وشج وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ: عليكما صاحبكما، يريد طلحة، وقد نزف الدم فتركناه، وذهبت لانزل ذلك من وجه رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته، وكره أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ، فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لاصنع ما صنع، فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، *(فلما تنحى أبو بكر جانبًا)* فعل أبو عبيدة كما فعل في المرة الاولى، فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس اهتماما، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفر، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه.

لقد ورد في رواية أن عقبة بن وهب وأبو بكر أيضا استخرج الحلق إضافة إلى أبي عبيدة. ولكن الرواية الأولى أثبت.

لقد صعد النبي ﷺ الجبل مع الصحابة يوم أحد فتبعهم الكفار أيضا فقد وردت رواية في صحيح البخاري أن أبا سُفْيَانَ قال: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّات فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّات، ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّات، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ.

لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ واقعة سقوط النبي ﷺ مغميًّا عليه وما حدث بعدها فقال: وبعد قليل عاد الرسول ﷺ إلى وعيه. وأرسل الصحابة المحيطون به من ينادي المسلمين ليجتمعوا ثانية حول نبيّهم. وهكذا قد بدأت تجتمع حوله قوة من المسلمين مرة أخرى، رافقهم النبي ﷺ إلى أسفل الجبل.

ورأى أبو سفيان هذه البقيّة من المسلمين في أسفل الجبل فصاح بصوت عال: "لقد قتلنا محمدًا". وسمع الرسول ﷺ الصيْحة، ولكنه منع المسلمين أن يجيبوه خشية أن يعرف العدوّ الحقيقة فيعاود الهجوم على المسلمين الجرحَى الذين سبق أن نال منهم التعب والإعياء. ولما لم يتلقّ أبو سفيان جوابًا من المسلمين، أيقن صحة ما قال، ثم صاح بصوت عال وقال: "لقد قتلنا أبا بكر أيضًا". ومنع الرسول ﷺ أبا بكر أن يرد عليه. فأردف أبو سفيان بصيحة أخرى وقال: "وقد قتلنا كذلك عمر". ولما كان عمر رجلا متحمسًا فأراد أن يقول ردًّا عليه بأننا أحياء بفضل الله تعالى ومستعدون للتصدي لكم، ولكن منع الرسول ﷺ عمر أيضًا من أن يوقع المسلمين في الوضع الحرج. فأيقن الكفار أنهم قَتَلوا مؤسس الإسلام ويداه اليمنى واليسرى، فصاح أبو سفيان نشوان طربًا: اعلُ هبل، اعلُ هبل، لقد قضينا على الإسلام اليوم. لقد رفض النبي ﷺ الردّ على أبي سفيان عندما أعلن عن موته، كما رفض الردّ عندما أعلن عن موت أبي بكر وعمر وذلك حتى لا يعود جيش العدو ويهاجم المسلمين الجرحى مسبقًا فيستشهد هؤلاء القلة القليلة من المسلمين أيضا. لكن لما أثير سؤال عن عظمة الله تعالى ورفَعَ العدوّ الآن هتاف الشرك، اشتعلت روحه، ونظر إلى المسلمين المحيطين به بكل حماس وقال: "لماذا لا تجيبون له؟" قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال: "قولوا اللهُ أعْلَى وأَجَلُّ، اللهُ أعْلَى وأَجَلُّ". أي أنكم تكذبون عندما تقولون أعل هبل، إنه كذبكم، أما الله تعالى فهو واحد لا شريك له وهو الأعظم والأجل، وهكذا أخبر ﷺ العدو بأنه لا يزال على قيد الحياة. لقد أثر هذا الردّ الشجاع والموقف الجريء في الكفار تأثيرًا خيب آمالهم ودمرها تدميرًا، ومع أنه قد وقف أمامهم حفنة من المسلمين الجرحَى الذين كان من السهل جدًّا القضاء عليهم، ومع ذلك لم يتجاسر العدوّ على مهاجمتهم مرة أخرى، فاكتفوا بما حققوه وعادوا يهللون لنصرهم بفرح وطرب.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا *(قالت: إن الآية)* ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ *(تتعلق بالصحابة)*.

قَالَتْ لِعُرْوَةَ يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمُ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا قَالَ كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ.

يقول مرزا بشير أحمد عن هذا الأمر: إنه لأمر عجيب إذ إن قريشًا حققوا الانتصار على المسلمين في هذا الوقت، وكان بإمكانهم -بناء على الأسباب الظاهرة- الاستفادة بانتصارهم، وكان الطريق لمهاجمة المدينة مفتوحًا لهم في كل الأحوال، ولكن مع انتصارهم فقد رُعبت قلوبهم بالتصرف الإلهي، فاغتنموا هذا الانتصار الذي أحرزوه في ميدان أحد ورأوا خيرًا لهم في العودة السريعة إلى مكة. ولكن النبي ﷺ أرسل فورًا -كإجراء احتياطي- جماعة من سبعين صحابيًا وراء جيش قريش وكان فيهم أبو بكر والزبير أيضا. هذا ما ورد في رواية البخاري. أما المؤرخون عامة فيقولون أن النبي ﷺ أرسل وراءهم عليًّا وفي بعض الروايات سعد بن أبي وقاص، وطلب منهم النبي ﷺ أن يأتوا بخبر قريش إن كانوا ينوون مهاجمة المدينة، وقال لهم: انظروا إذا كان قريش راكبين على الخيول فهذا يعني أنه لا خير في إرادتهم، وأوصاهم النبي ﷺ بأن يخبروه فورًا إنْ توجه جيش قريش نحو المدينة. ثم قال النبي ﷺ بكل حماس: والله لو هاجمت قريش المدينة لتصدينا لهم ولقّناهم درسًا.

على أية حال، لقد رجع هذا الوفد بالخبر أن جيش قريش متوجه نحو مكة.

يستمر هذا الذكر في المستقبل أيضا، إن شاء الله.